

بعد السباق

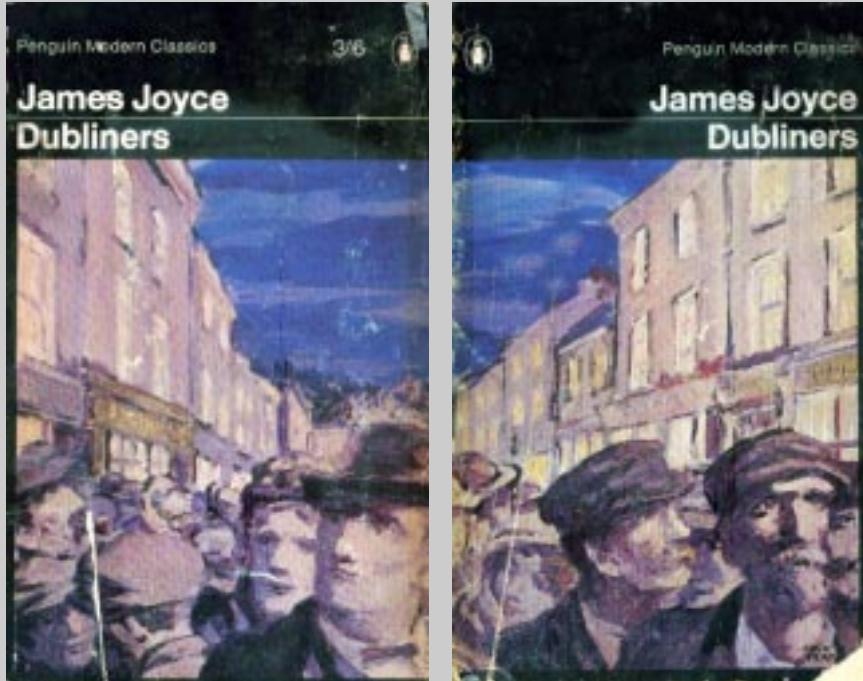
جميل جويس

ترجمة: آفاق سبيريز ◆ مراجعة: م. بروفسور سلام ناخوش / جامعة صلاح الدين

جاءت السيارات مندفعة نحو دبلن، تتتسابق بانتظام، تترى كحبّات البندق المتتالية في أخدود طريق الناس، على قمة التلّ من انجلترا، وقفَ المتفرجون في مجموعات، لِراقبة السيارات التي تنطلقُ باتجاه خط النهاية، وخلال هذه القناةِ منْ الفاقةِ والبطالةِ، حيث منعت القارةُ ثروتها وصناعتها، بين حين وأخر يرتفع هتاف مجموعة من الناسِ، خاضين الطرف بعض الوقت عن اضطهادهم بامتنان، على أية حال، كانت السيارات الزرقاء - سيارات أصدقائهم، الفرنسيين-2 محلُّ حطفهم وتشجيعهم.

علاوة على ذلك، كان الفرنسيون علیاً هم المتصرين، هو ذا الفريق الفرنسي، بحسب افتراضي، إنّهم فريق صلب، حازوا المرتبة الثانية والثالثة، وسائل السيارة الألمانية الفائزة، أشيع عنه أنه بلجيكي، وبسبب لون سيارتهم الأزرق، وبناءً على ذلك المقياس، كان ارتفاع التشجيع مُضاعفاً، بينما فاق كلّ هشافٍ ومشجعٍ على قمة التلّ، مجموعة من أربعة شباب، مرحين وصاخبين، واعترف الجميع بتقوّهم من خلال ما أرسلوه لهم من ابتسamas وإيماءات، حيث بدأ روحهم المعنوية في تلك اللحظة أعلى بكثير من الفرنسيين أنفسهم، هؤلاء الشباب الأربعـة الجذلين كانوا تشارلز، مالك السيارة، أندرـيه كهربـائي شـاب كـندي الولادة، وفيـلونـا هـنـغـارـي ضـخمـ، وـشـابـ قد اـعـتـنـى بـهـنـدـامـهـ وـشـكـلـهـ كـثـيرـاـ يـدـعـى دـوـيلـ، الـذـيـ كـانـ جـذـلاـ لـاسـتـلامـهـ بـعـضـ الـطـلـبـيـاتـ التجـارـيـةـ بشـكـلـ غـيرـ متـوقـعـ، وـقـبـضـ ثـمـنـهـاـ مـقـدـماـ وـكـانـ عـلـىـ وـشـكـلـهـ أـنـ يـبـدـأـ العـلـمـ فيـ شـرـكـةـ سيـارـاتـ فيـ بـارـيسـ) وـكـانـ رـيفـيـغـ سـعـيدـاـ لـأـنـهـ كـانـ سـيـتـعـيـنـ مدـيرـاـ فيـ الشـرـكـةـ، هـذـانـ الشـابـانـ (الـلـذـانـ كـانـاـ أـبـنـاءـ عـمـ) كـانـاـ أـيـضـاـ جـذـلـينـ بـسـبـبـ فـوزـ السـيـارـاتـ الفـرـنـسـيـةـ، فيـلـوـنـاـ كـانـ سـعـيدـاـ أـيـضـاـ لـأـنـهـ كـانـ بـأـنـتـظـارـ وـجـبـةـ غـاءـ مـقـنـعـةـ وـمـرـضـيـةـ جـداـ، بـإـلـاـضـافـةـ إـلـىـ أـنـهـ كـانـ مـتـفـاـلـاـ بـطـبـيـعـتـهـ، العـضـوـ الـرـابـعـ فيـ الجـمـاعـةـ عـلـىـ أـيـةـ حـالـ، كـانـ مـسـتـثـارـاـ جـداـ لـأـنـ يـكـونـ سـعـيدـاـ حـقـاـ كـانـ عـدـوـيـ السـعـادـةـ قـدـ اـنـتـقلـتـ إـلـيـهـ.

كان عمره ستة وعشرون سنة تقريباً، رقيق المشاعر، عيناه الرمادية تظهرانه برئ المظهر، مع شاربٍ خفيف بني اللون ، والده الذي بدأ الحياة كقومي متّعصب، عدل وجهات نظر ولده مبكراً بالقومية الإيرلنديّة، وصنع ثروته من عمله كجزار في كينغزتاون وافتتح الدكاكين والأسواق في دبلن وفي الضواحي مما ضاعف ثروته عدة مرات، أصبحَ غنياً بما فيه الكفاية ليعقد الاتفاقيات مع الشرطة، ويستغل صحف دبلن كي تصوّره كأمير تجاري، أرسل ابنه إلى إنجلترا ليتعلّم في كلية كاثوليكية كبيرة، أرسّل بعد ذلك



إلى جامعة دبلن لدراسة القانون، جيمي لم يكن جدياً في دراسته، نال درجات رديئة في الفصول الأولى، كان عنده المال الكافي، وهو كان شعبياً اجتماعياً، ضيئع وقته بين المساحات الموسيقية ودورات تعليم السياقة، كان قد طلب انتقاله إلى كامبردج ليعيش حياة مختلفة، جيمي وجده سروراً عظيماً في التعرف على بقاع كثيرة من الأرض، والتعاش مع مجتمعٍ مُتَوَحِّداً، كان والده يعترض عليه، لكنه سرّاً كان فخوراً بولده، ثم اضطر إلى دفع فواتيره وإعادته إلى البيت، وفي كامبردج التقى بصديق سيكوين، والذي صار أكثر من صديق، كان يعتبر نفسه من مالكي الفنادق الفرنسية الضخمة، مثل هذا الشخص - كما وافقه والده - جدير بالتعرف، حتى وإن لم تكن صحبته ساحرة وفاتنة، كان رفيقه الساحر فيلونا عازف بيانو رائع لكنه لسوء الحظ كان فقيراً جداً.

السيارة تسير بمرح، كان الشاب قد منحها شحنةً من مرحة، جلسَ أبداً العَمَ على المقعد الأمامي؛ جيمي وصديق الهنغاري جلساً في الخلف، بالتأكيد كان لفيلونا روحانية، وهو يواصل دندنته، بلحنٍ يقطع أميال الطريق، طريقة الفرنسيين في قذفِ ضحكاتهم وكلماتهم الطريفة الخفيفة، كانت تزيد من قدراتهم على تحمل المسؤوليات، في أحوال كثيرة كان جيمي يجتهد كثيراً لإمساك بعبارةٍ من عبارات الأغنية ذات الإيقاع السريع، هذا الاجتهد كان حرياً بـأبنٍ يبدد متعته، بشكل دائم، كان يحرز المعنى التقريري بحذاقة، ومع نهاية كل مقطع تجد صيحةً كردة فعلٍ يتنااسبُ معها، بالإضافة إلى هممته فيلونا القادرة على تشويش أي شخص ومع ضوضاء محرك السيارة أيضاً.

الحركة السريعة خلال الفضاء واللامبالاة وامتلاك المال، كانت هذه ثلاثة أسباب جيدة لاستثارة جيمي وجعله متحمساً، كان قد رأى العديد من أصدقائه العاملين في شركة هؤلاء الأوروبيين، سيكوين قدّمه إلى أحد المنافسين الفرنسيين كي يختبره، وفي رد على هممته المشوّشة للإطراء، كشف السائق ذو البشرة

السمراء عن خط أستانه البيضاء المشرقة، كان هادئاً مع تلك السمعة الحسنة، وبعد مظاهر الحفاوة والتكرير، عاد إلى عالم الامتنان والاحترار من قبل المحبيين به، وسط دفعات خفيفة ونظارات ذات مغزى، ثم بالنسبة إلى المال - كان فعلاً عيده مبلغ عظيم تحت سيطرته. سيكوين لا يُفكّر بثروة عظيمة ربما، لكن جيمي، وبالرغم من الأخطاء المؤقتة، كان في الواقع قد ورث الصلابة، وهو يعرف جيداً بأن الصعوبات قد اجتمعت، هذه المعرفة المسيبة هي التي أبقيت فواتيره ضمن حدود العقل وبعيداً عن التهور، وإذا كان هو يشعر بأن المال يختبئ ويكتنُ داخل ثقابة العمل، وأن مجرد سؤال بسيط، كان من شأنه أن يجذب اهتمام الاستخبارات العليا، حتى وهو الآن على وشكِ أن يراهن بالجزء الأعظم من ماله، وكان شيئاً خطيراً بالنسبة له.

بالطبع، كان استثمار فرصة جيدة، وإدارة سيكوين أعطت انطباعاً جيداً في البداية، بأن ذلك كان خدمة للصدقة، المال الإيرلندي المتعفن كان يتضمن في رأس المال المهمتين. جيمي كان يكنّ احتراماً لدهاء والده في أمور العمل، وفي هذه الحالة كانت لووالده الذي كان أول من اقترح الاستثمار، أصغر عملية إيرلندية كانت مهمة لرأس المال، والمال يولد الأعمال، والأعمال قدور المال، سيكوين علاوة على ذلك، كان عندَ المناخ الصحي لنحو الثروة، عرضَ جيمي على نحوٍ منظمٍ خطة عمل الأيام، وتبوأ مقعده في السيارة الفخمة التي جلس فيها. كم سارتْ بهدوء، وبهذه المقدمة ساروا على طول الطريق الريفي؛ الرحلة وَضَعَتْ إصبعها السحري على النبض الأصيل للحياة، وباناقة الآلية التي تدار بها الأعصاب الإنسانية سَعَتْ للاستجابة لتنفسِ الحيوان الأزرق السريع.

خفضوا سرعتهم في شارع السيدة. الشارع كان مزدحماً بمرور غير عادي، والصخب المصاحب لأبواق سائقي السيارات وصوت منبهات سوق الشاحنات نافذة الصبر. كان سيكوين يعد شيئاً ما قرب المصرف، حيث نزل جيمي وصديقه. مجموعة قليلة من الناس تجمعوا على المشي احتراماً لشخير السيارة. كانت الحفلة أن يتناولا العشاء معًا ذلك المساء في فندق سيكوين، وفي أثناء ذلك جيمي وصديقه اللذان كانوا معه، ذهبا إلى المنزل ليتهيئاً، قيَّدتُ السيارة ببطء إلى شارع كرافتون بينما شق شباب الطريق خلال حشود الناظرين. متسلياً شماليًّا مع شعور فضولي بالإحباط في تلك الحفلة، بينما علقت في المدينة فوقهم كرات الضوء في سديم المساء الصيفي.

في بيتِ جيمي كان هذا العشاء فرصة ملائمة، مخاوف والديه كانت ممزوجة ببعض الافتخار والاشتياق، وأيضاً، للعمل السريع والحر لأسماء المدن الأجنبية العظيمة والتي على الأقل لها هذه المزية. جيمي، أيضاً، كان جداً عندما غير ثيابه، كما وقف في القاعة معطياً اتزاناً إلى أقواس ربطه لباسه أبوه ربما شعرَ بن كل شيء محقق بشكل تجاري على حصوله لضمان لتنوعية ابنه في أحوال كثيرة يستميل للرشوة. لذلك، أبوه، كان صديقاً غير عادي مع وأسلوبه واضحاً باحترام حقيقي للإنجازات الأجنبية؛ لكن ذلك الحدق من المحتمل قد أهدى على الهنگاري، الذي كان يبدأ بأمتلاك رغبة شديدة لعشايه. كان العشاء ممتازاً ومن الطراز الأول. سيكوين وجيمي صمموا على أن يكون له طعم مميز جداً زيدت الحفلة بشاب انكليزي يدعى روث والذي رأه جيمي مع سكيوين في كامبردج. الشباب رشفوا في غرفة الراحة الإنارة بالمسابح الكهربائية. تحدثوا بشكل مهذار مع قليل من التحفظ. خيال جيمي المشتعل صور له الشاب الفرنسي التنشيط يلتقط باناقة على الإطار القوي للعادات الحميدة للرجال الانكليز. صورته الجميلة فكرة واحدة فقط، أُعجب ببراعة المحادة المباشرة مع أي مضيق. الشباب الخمسة كانت لديهم أدواق شتى كما وقد فُكَّتْ عقدة ألسنتهم. فيلونا مع الاحترام الهائل، بدأ باكتشاف مفاجئ وبشكل معقول

لرجل الانكليزي، قصيدة غزلية قصيرة انكلزية جميلة، يَسْتَهْجُنْ خسارة الآلات القديمة. ريفيري، لم يكن صريحا تماما، تعهد بالتوسيع لجيمي، انتصار الميكانيكيين الفرنسيين. الصوت الرنان للهنغاري كان حول السخرية على العود المزور للرسامين الرومانسيين عندما روى سيكوين حفلته بالسياسة. المكان هنا كان مناسبا لجميع. جيمي، تحت الضغوط الكبيرة، شعر بان الحمام المدفون لصحوة أبيه يعيش معه. وأثار بلادة روث في النهاية. تضاعفت الحرارة في الغرفة ومهما سيكوين بدأ تزداد صعوبة كل دقيقة. كان هناك خطير مستوٍ من الحقد الشخصي. المضيّ اليقظ استغل الفرصة ورفع كأسه للإنسانية وعندما كانت النخبة تشرب، قام هو بفتح النافذة بشكل ملحوظ.

في تلك الليلة ارتدى المدينة قناع الرأسمالية. الشباب الخمسة تمشوا على طول ستيفن الأخضر تحت سحابة خفيفة من الدخان. تحدثوا بصوت عال وبشكل مرح وعباراتهم تعلقت على أكتافهم. فسح الناس المجال لهم، وفي زاوية شارع كرافتون كان هناك رجل سمين وقصير يضع سيدتين جميلتين على سيارة مسؤولة من رجل سمين آخر. السيارة توقفت والرجل السمين القصير رأى الحفلة

"أندرية."

"انه فارلي!"

تلاء وابل من الكلام. فارلي كان أمريكيا. لا احد كان يعرف عن ماذا يدور الحديث. فيلونا وريفيري كانوا الأكثر ضوضاءاً، لكن كل الرجال أثثروا. نهضوا إلى السيارة، حاشدين أنفسهم معاً وسط كثير من الضحك. قادهم الحشد، المزاج الآن إلى الألوان المعتدلة، إلى موسيقى الأجراس المرحة. أخذوا القطار عند طريق ويستلاند في قليل من الدقائق، كما بدا لجيمي، كانوا خارجين من محطة كينج ستون. جامع التذاكر حياً جيمي، كان رجالاً كبيراً في السن:

"ليلة سعيدة، سيدى!"

كانت ليلة صيفية هادئة، موقع الميناء مثل المرأة المظلمة عند أقدامهم، مضوا نحوه مرتبطين، يغدون كادي روسييل كلهم وفي آن واحد يصررون الأرض بأقدامهم:

"هو! هو! هوهي، فريمنت"

دخلوا زورق تجديف في مزلق السفن، وقاموا باختيار اليخت الأمريكي. كان ليكون هناك عشاء، موسيقى، لعبة الورق، فيلونا قالت باقتناع:

"يا للروعة"

كان هناك بيانو اليخت في الحجرة. فيلونا عزفت موسيقى الفالس لفارلي وريفيري، فرالي مثل دور الفارس وريفيري دور السيدة (اللidi). ثم ارتجال الرقصة المربعة (رقصة الميدان)، الرجال ابتكرموا الشكل الأصلي. الذي فرح، جيمي اخذ جزئه بجدية، ترى هذه كانت حياة، على الاقل. عندئذ فارلي اخرج نفسه وصاح "توقفوا". الرجل جلب إلى العشاء الخفيف، والشباب جلسوا إليه لأجل الشكل. كانوا سكارى، على كل حال، كان بوهيميا. شربوا الإيرلندي، الانكليزي، الفرنسي، الهنغاري، الأمريكي، جيمي القى خطاباً، خطاباً طويلاً، فيلونا قالت "أصغوا، أصغوا" حينما كان هناك توقف مؤقت. كان هناك تصفيق كبير بالأيدي عندما جلس. لابد انه كان خطاباً جيداً. فارلي صفق له على ظهره وضحك بصوت عالٍ. أي الزملاء البشوشين! أي الشركاء الجيدين كانوا!

الأوراق! الأوراق! فيلونا عادت بهدوء إلى البيانو وعزفت لهم القطع الموسيقية. الرجال الآخرون لعبوا اللعبة تلو اللعبة. دافعين أنفسهم بجرأة إلى المغامرة. شربوا كأساً بصحبة ملكة القلوب وملكة الماس. جيمي

شعر بقلة الجمهور دون وضوح: الذكاء كان يومض. اللعبة سارت بسرعة وبذات الورقة بالعبور. جيمي لم يكن يعرف بالضبط من الذي كان يربح لكنه كان يعرف بأنه كان يخسر. لكنه كان عيبه الخاص هو أخطاءه في كثير من أوراقه والرجال الآخرون كانوا يحسبون ألو ألي أو بي له. كان زملاءه شياطين لكنه تمنى بأن يتوقفوا. الوقت صار متاخراً. شخص ما أعطى النخب بيكي من نيوبورت. وشخص ما اقترح لعبة كبيرة للنهاية.

توقف اللعب، كان على فيلوانا أن تتغلب على ورق اللعب. لقد كانت لعبة فظيعة. توقفوا فقط قبل النهاية منها لي Shirleyوا كأساً من أجل الحظ. جيمي أدرك بأن اللعنة صارت بين روث وسيكويين. ما هذه الإثارة؟ جيمي كان مثاراً أيضاً. هو خسر، طبعاً. كم كان المكتوب بعيداً؟ الرجال ارتفعت أقدامهم للعب الخداع الأخيرة. بالكلام والإيماء ربح روث. الحجرة اهتزت بهتاف شباب وأوراق اللعب حُزّمت معاً. ثم بدأ الذين ربحوا بالتجمع. فاري وجيمي كانوا أثقل الخاسرين.

كان يعلم بأنه سوف يندم في الصباح لكن في الوقت الحاضر كان مسروراً من أجل البقية. مسروراً بالإنهال المظلم الذي يغطي حماقتة. مال بمرفقيه على الماء خدة وأراح رأسه بين يديه، حاسباً ضربات معابده. انفتح باب الحجرة ورأى الرجل الهنغاري عند نمود الضوء الرمادي: "الفجر، أيها السادة المحترمون".

1 يدل مصطلح *Continent* بحسب قاموس أكسفورد الصادر عن دار جامعة أكسفورد للطباعة والنشر على: قارة أوروبا باستثناء بريطانيا والجزر التابعة لها.

2 نلاحظ أنَّ جويس لا ينفكُ عن الطعن والاستهزاء بالإنكليز الذين يعتبرهم الشعب الإيرلندي محظيين، ولا يترك فرصةً تفوته، كما في يوليسيس (أو إلى ذلك الشاب الأوكسفوردي.. إلَّه متخم بالمال ويعتقد أَنَّك لست رجلاً مهذباً.. وكيف لي أن أتصورك تستجدي من هؤلاء الخنازير؟.. حظيرة إنكليز شاحبي الوجه: يمسكون أصلاعهم من الضحك، يشبك أحدهم الآخر.. راح يثبت وقزْل حول الطاولة ببنطلونه النازل إلى عقبيه وتلاحقه أرواح موتى كلية ماكولين) جيمس جويس - يوليسيس - ترجمة صلاح نيازي - دار المدى - ط 2001 - دمشق - ص 18. وذكر المترجم صلاح نيازي أنَّ جويس يلقب الأوكسفوردي والساكسوني بـ OX وهي تعني الثور، وكلية ماكدولين هي إحدى كليات جامعة أكسفورد. وهكذا ساق جويس طوفاناً من الشتائم للإنكليز في أسطر قليلة...

❖ إنني مستعد لأنْ أنظر ما تشاء من مراحيل.. وذلك عملٌ كغيره من الأعمال، بل إنَّه لأكبر كثيراً من عملِ رجل مثل رافائيل أو بوشكين، لسبب بسيط هو أنَّه أكثر نفعاً.

دستوفסקי - الجريمة والعقاب/ ج 2 - ترجمة د. سامي الدروبي - ط 2 - 1985 - دار ابن رشد - بيروت - ص 170.

❖ كلما كان مكر الماء أكبر، كانت الأمور الأبغض هي التي توقعه في الفخ.

دستوف斯基 - الجريمة والعقاب/ ج 1 - ترجمة د. سامي الدروبي - ط 2 - 1985 - دار ابن رشد - بيروت - ص 484.

❖ الحب وباء..... (ماركين- مائة عام من العزلة- ترجمة صالح علمني- 2005- دار المدى- ص 88).

❖ تحدث في العالم أشياء لا تصدق. فهناك بالضبط على ضفة النهر الأخرى، توجد كل أنواع الأجهزة السحرية بينما نواصل نحن العيش كالمير.

ماركين- مائة عام من العزلة- ترجمة صالح علمني- 2005- دار المدى- ص 15.